الاقتراح الثامن: اقتراحات علمية في طلب العلم

العلم :

مفتاح كل خير، ودليل كل بر، والموصل إلى رضوان الله تعالى، والسالك بصاحبه إلى الجنة.

الاقتراح المهيئ في طلب العلم:

والاقتراح المُقَدَّمُ في طلب العلم، يتناول:

الإخلاص والتجرد؛ فلا تطلبه للظهور والتباهي، ولا تُحَصِّله للمماراة والجدال؛ فعن ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِك، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ**"(١).

من طلب العلم: أي لا لله بل:

(ليجاري به العلماء): أي يجري معهم في المناظرة والجدال؛ ليظهر علمه في الناس رياءً وسمعةً.. وفي الرواية الأخرى: "ليباهي به" أي يفاخر.

(أو ليماري به السفهاء): جمع السَّفية، وهو قليل العقل، والمراد به الجاهل، أي ليجادل به الجهال. والمماراة: من المرية، وهي الشك، فإن كل واحد من المتحاجين يشك فيما يقول صاحبه ويشككه مما يورد على حجته، أو من المرى وهو مسح الحالب ليستنزل ما به من اللبن، فإن كلا من المتناظِرَين يستخرج ما عند صاحبه. كذا

(١) حديث حسن: أخرجه الترمذي، وأخرجه ابن ماجة عن ابن عمر مرفوعًا. وانظر: «صحيح الجامع الصغير» للشيخ الألباني - رحمه الله تعالى -.

OBEIKAN.COM

حققه الطيبي.. فهو يجادل به ضعاف العقول.

(ويصرف به وجوه الناس إليه): أي يطلبه بنية تحصيل المال والجاه، وإقبال العامة عليه.. (فهو) ينوي به تحصيل المال والجاه، وصرف وجوه الناس العوام إليه، وجعلهم كالخدم له، أو جعلهم ناظرين له إذا تكلم، متعجبين من كلامه إذا تكلم، مجتمعين حوله إذا جلس.

(فهو في النار): معناه أنه يستحقها بلا دوام، ثم فضل الله واسع، فإن شاء عفا بلا دخول" (١).

وأخرج الدارمي في "سننه" بسنده، "عَنْ ابْنِ أَبِي حُسَيْنٍ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ كَانَ يَقُولُ لابْنه: **" يَا بُنَيَّ لا تَعَلَّمْ الْعِلْمَ لِتُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِتُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ تُرَائِيَ بِهِ فِي الْمَجَالِسِ، وَلا تَتْرُكْ الْعِلْمَ زُهْدًا فِيهِ، وَرَغْبَةً فِي الْجَهَالَةِ، يَا بُنَيَّ اخْتَرِ الْمَجَالِسَ عَلَى عَيْنِكَ، وَإِذَا رَأَيْتَ قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فَاجْلِسْ مَعَهُمْ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَكُنْ عَالِمًا يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ، وَإِنْ تَكُنْ جَاهِلا يُعَلِّمُوكَ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِهِ فَيُصِيبَكَ بِهَا مَعَهُمْ، وَإِذَا رَأَيْتَ قَوْمًا لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فَلا تَجْلِسْ مَعَهُمْ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَكُنْ عَالِمًا لا يَنْفَعُكَ عِلْمُكَ، وَإِنْ تَكُنْ جَاهِلا زَادُوكَ غَيًّا، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ بِعَذَابٍ فَيُصِيبَكَ مَعَهُمْ"**.

الاتباع: فإن طلب العلم عبادة وقُربة، ولابد فيه من الاتباع، أي اتباع السنة، وسلوك سبيلها، وقد قال تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** ﴿٢﴾ ﴾ [الملك: ٢].

"قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾:

قال: أخلصه وأصوبه. فقيل له: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل؛

---

(١) انظر: «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» و«شرح سُنن ابن ماجة للسندي».

حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص: أن يكون لله .

والصواب: أن يكون على السُّنَّة " (١) .

التقـــوى: فإن التقوى هي جماع كل أمر وملاكُهُ، عَنْ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّه ﷺ: "اتَّقِ اللَّه حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَة الْحَسَنة تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاس بِخُلُقٍ حَسَنٍ" (٢) .

قوله: (**اتق الله**): أي بالإتيان بجميع الواجبات، والانتهاء عن سائر المنكرات، فإن التقوى أساس الدين، وبه يرتقي إلى مراتب اليقين. (**حيث ما كنت**): أي في الخلاء، وفي النعماء، والبلاء؛ فإن الله عالم بسر أمرك، كما أنه مطلع على ظواهرك، فعليك برعاية دقائق الأدب في حفظ أوامره ومراضيه، والاحتراز عن مساخطه ومساويه" (٣) .

والتقوى ليست خاصة، بل هي عامة؛ فتكون زمانًا، ومكانًا وحالاً.

الهمة: وهي لطالب العلم، كالجناح للطائر، فحيث ما لا جناح للطائر؛ فلا طير، كذا إذا لم تكن لطالب العلم همةٌ؛ فلا طلب للعلم ولا تحصيل.

"فلابد لطالب العلم من الهمة العالية في العمل؛ فإن المرء يطير بهمته، كالطير يطير بجناحيه" (٤) .

الأدب: وهو لطالب العلم، سبب جليل؛ للاستفادة والتحصيل، وإذا عُدمه طالب العلم، عُدِمَ بركة العلم.

يقول العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد ـ حفظه الله تعالى ـ في كتابه الفذ "حلية طالب العلم" :

تحلَّ بآداب النفس: من العفاف، والحلم، والصبر، والتواضع للحق، وسكون الطائر،

---

(١) انظر: في ذلك تفاسير القرآن، عند تفسير أول سورة الملك.

(٢) حديث حسن: أخرجه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم، وانظر «صحيح الجامع الصغير».

(٣) انظر: «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي».

(٤) كتاب «تعليم المتعلم طريق التعلم»، للزرنوجي.

من الوقار والرزانة، وخفض الجناح، متحملاً ذل التعلم لعزة العلم، ذليلا للحق.

وعليه: فاحذر نواقض هذه الآداب، فإنها مع الإثم تقيم على نفسك شاهداً على أن في العقل علة، وعلى حرمان من العلم والعمل به، فإياك والخيلاء، فإنه نفاق وكبرياء، وقد بلغ من شدة التوقي منه عند السلف مبلغاً " . اهـ.

وقال أيضاً: "التحلي بـ(رونق العلم) حسن السَّمْت، والهدى الصالح، من دوام السكينة، والوقار، والخشوع، والتواضع، ولزوم المحجة، بعمارة الظاهر والباطن، والتخلي عن نواقضها.

وعن ابن سيرين ـ رحمه الله تعالى ـ قال:

« كانوا يتعلمون الهدى كما يتعلمون العلم » .

والأدب لطالب العلم، مقسم إلى: أدبه في نفسه.. وأدبه مع شيخه.. وأدبه مع رفقائه.. وأدبه في الطلب.. وأدبه مع الكتب.

وكل هذه الآداب مفصلة وموسعة في كتب آداب العلم والطلب، واطلبها مجتمعة في كتاب "حلية طالب العلم" للعلامة بكر بن عبدالله أبو زيد ـ حفظه الله تعالى ـ .

التدرج: فإنه في غاية الأهمية لطالب العلم؛ إذ أنه يُعين على التحصيل، والإتقان؛ حيث لا كثرة ولا ازدحام، ومن أحسن طرق التدرج: أن يبدأ بالأهم، ثم المهم.. وأن يبدأ بالأسهل، فالسهل، ثم الصعب، والأصعب.. وتحقيق ذلك: أن يبدأ في أي علم من العلوم: بالمتون، ثم شروحها المختصرة فيه، ثم المطولات.

المذاكرة: فإن المذاكرة سبب من أسباب تثبيت الدرس والعلم .

قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في "حلية طالب العلم":

"تمتع مع البصراء بالمذاكرة والمطارحة، فإنها في مواطن تفوق المطالعة، وتشحد الذهن، وتقوى الذاكرة، ملتزمًا الإنصاف والملاطفة، مبتعداً عن الحيف والشغب

والمجازفة ، وكن على حذر، فإنها تكشف عوار من لا يصدق .

فإن كانت مع قاصر في العلم، بارد الذهن، فهي داء ومنافرة، وأما مذاكرتك مع نفسك في تقليبك لمسائل العلم؛ فهذا ما لا يسوغ أن تنفك عنه .

وقد قيل: إحياء العلم مذاكرته" . اهـ.

الجدُّ: فإنه قرين الهمَّة وصنوها، وقسيم المذاكرة ومادتها .

قال الزرنوجي ـ رحمه الله تعالى ـ في "كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم":

"ثم لابد من الجِدِّ، والمواظبة، والملازمة لطالب العلم، وإليه الإشارة في القرآن بقوله تعالى: ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾ [مريم: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

- **وقيل**: من جَدَّ وَجَدَ، ومن قرع الباب وَلَجَ وَلَجَ .
- **وقيل**: بقدر ما تتعنَّى؛ تنال ما تتمنَّى .
- **وقيل**: يحتاج في التعلم والتفقه إلى جدٍّ ثلاثة: المتعلم، والأستاذ، والأب؛ إنْ كان في الأحياء .
- **وقيل**: اتخذ الليلَ جَمَلاً؛ تدرك به أملاً" . اهـ.

وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في "حلية طالب العلم":

"الوقت الوقت للتحصيل، فكن حِلْفَ عمل لا حلف بطالة وبطر، وحِلْسَ عمل لا حلس تَلَه وسمر، فالحفظ على الوقت بالجد والاجتهاد، وملازمة الطلب ومثافنة الأشياخ، والاشتغال بالعلم قراءة وإقراء ومطالعة وتدبراً وحفظًا وبحثًا، لا سيما في أوقات شرخ الشباب ومقتبل العمر، ومعدن العاقبة، فاغتنم هذه الفرصة الغالية، لتنال رتب العلم العالية، فإنها ـ وقت جمع القلب، واجتماع الفكر ـ لقلة الشواغل والصوارف عن التزامات الحياة والترؤس، ولخفة الظهر والعيال" . اهـ.

OBEIKAN.COM

الصبر: والصبر محمود في كل الأحوال والأعمال، فكيف به في طلب العلم، والصبر في العلم يكون على: الطلب والتحصيل، ويكون على الشيخ والأستاذ، ويكون على الزملاء والرفقاء.

قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في "حلية طالب العلم":

"تَحَلَّ بالثبات والتثبت، لا سيما في الملِمَّات والمهمَّات، ومنه: الصبر والثبات في التلقي، وطي الساعات في الطلب على الأشياخ، فإن "من ثبت نبت". اهـ.

العمل: وهو المقصود الأسمى من طلب العلم، والغاية العظمى من تحصيله، فالعلم ليس مقصوداً لذاته، وإنما مقصود العلم العمل.

قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في "حلية طالب العلم":

"التحلي بعمارة الظاهر والباطن بخشية الله تعالى؛ محافظًا على شعائر الإسلام، وإظهار السُّنَّة ونشرها بالعمل بها والدعوة إليها؛ دالاً على الله بعلمك وسَمْتِك وعملك، متحلياً بالرجولة، والمساهلة، والسَّمت الصالح.

وملاك ذلك خشية الله تعالى، ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: ـ أصل العلم خشية الله تعالى ـ.

فالزم خشية الله في السر والعلن، فإن خير البرية من يخشى الله تعالى، وما يخشاه إلا عالم، إذن فخير البرية هو العالم، ولا يغب عن بالك أن العالم لا يعدُّ عالِمًا إلا إذا كان عاملاً، ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمته خشية الله.

وأسند الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى بسند فيه لطيفة إسنادية برواية آباء تسعة، فقال: أخبرنا أبو الفرج عبدالوهاب بن عبدالعزيز بن الحارث بن أسد بن الليث ابن سليمان بن الأسود بن سفيان بن زيد بن أكينة ابن عبد الله التميمي من حفظه؛ قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت علي بن أبي طالب

يقول: هتف العلم بالعمل، فإن أجابه، وإلا ارتحل . اهـ.

وقال أيضاً: "ابذل الوسع في حفظ العلم (حفظ رعاية) بالعمل والاتباع .

قال الخطيب البغدادي ـ رحمه الله تعالى ـ :

ويجب على طالب الحديث أن يخلص نيته في طلبه، ويكون قصده وجه الله سبحانه ، وليحذر أن يجعله سبيلاً إلى نيل الأعراض، وطريقًا إلى أخذ الأعواض، فقد جاء الوعيد لمن ابتغى ذلك بعلمه.

وليتق المفاخرة والمباهاة به، وأن يكون قصده في طلب الحديث نيل الرئاسة واتخاذ الأتباع وعقد المجالس، فإن الآفة الداخلة على العلماء أكثرها من هذا الوجه.

وليجعل حفظه للحديث حفظ رعاية لا حفظ رواية، فإن رُوَاة العلوم كثير، ورُعَاتُها قليل، وربَّ حاضر كالغائب، وعالم كالجاهل، وحامل للحديث ليس معه منه شيء إذ كان في إطراحه لحكمه بمنزلة الذاهب عن معرفته وعلمه.

وينبغي لطالب الحديث أن يتميز في عامة أموره عن طرائق العوام باستعمال آثار رسول الله ﷺ ما أمكنه، وتوظيف السُّنن على نفسه، فإن الله تعالى يقول: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب : ٢١] . اهـ.

عليك بالأصول: فإن أصول العلم هي مهماته، ومنها تكثر الفروع.

- و"من لم يُتقن الأصول، حُرِم الوصول" .
- و"من رام العلم جملة، ذهب عنه جملة" .
- وقيل أيضاً: "ازدحام العلم في السمع مضلة الفهم" .

وعليه، فلابد من التأصيل والتأسيس لكل فن تطلبه، بضبط أصله ومختصره على شيخ متقن، لا بالتحصيل الذاتي وحده، وأخذًا الطلب بالتدرج...

فأمامك أمور لابد من مراعاتها في كل فن تطلبه:

- حفظ مختصر فيه.

OBEIKAN.COM

- ضبطه على شيخ متقن.
- عدم الاشتغال بالمطولات وتفاريق المصنفات قبل الضبط والإتقان لأصله.
- لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب، فهذا من باب الضجر.
- اقتناص الفوائد والضوابط العلمية.
- جمع النفس للطلب والترقي فيه، والاهتمام والتحرق للتحصيل والبلوغ إلى ما فوقه حتى تفيض إلى المطولات بسابلة موثقة". انتهى من "حلية طالب العلم".

وأخيراً: قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في "مفتاح دار السعادة":

"**وللعلم ست مراتب:**

أولهـــا: حسن السؤال.

الثانيـــة: حسن الإنصات والاستماع.

الثالثـــة: حسن الفهم.

الرابعـــة: الحفظ.

الخامسة: التعليم.

السادسة: وهي ثمرته، العمل به ومراعاة حدوده". اهـ.

وإليك: بعض مصادر ومراجع، تفيد في باب طلب العلم، وآدابه، وطرائقه:

- جامع بيان العلم وفضله. لـ: ابن عبدالبر.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. لـ: الخطيب البغدادي.
- اقتضاء العلم العمل. لـ: الخطيب البغدادي.
- الفقيه والمتفقه. لـ: الخطيب البغدادي.
- تقييد العلم. لـ: الخطيب البغدادي.
- الرحلة في طلب العلم. لـ: الخطيب البغدادي.

OBEIKAN.COM

- ذم من لا يعمل بعلمه. لـ: ابن عساكر.
- تذكرة السامع والمتكلم. لـ: ابن جماعة.
- زغل العلم. لـ: الذهبي.
- مسائل في طلب العلم وأقسامه. لـ: الذهبي.
- أخلاق العلماء. لـ: الآجري.
- فضل علم السلف على علم الخلف. لـ: ابن رجب.
- مفتاح دار السعادة. لـ: ابن القيم.
- أدب الدنيا والدين. لـ: الماوردي.
- تعليم المتعلم طريق التعلم. لـ: الزرنوجي.
- أدب الطلب ومنتهى الأرب. لـ: العلامة الشوكاني.
- اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم. لـ: الشيخ زكريا الأنصاري.
- حلية طالب العلم. لـ: بكر بن عبد الله أبو زيد.
- التعالم. لـ: بكر بن عبد الله أبو زيد.
- كيف تطلب العلم. للشيخ عائض القرني.
- ٥٦ طريقة للتحمس لطلب العلم الشرعي. لـ: محمد العبدالله.
- حلية العالم والمتعلم. لـ: سليم الهلالي.
- العلم بين يدي العالم والمتعلم. لـ: جاسم الياسين.
- العمل بالعلم بين الواقع والواجب ، عبدالله الفوزان .
- فضل العلم. لـ: الدكتور محمد سعيد بن رسلان.
- آداب طالب العلم. لـ: الدكتور محمد سعيد بن رسلان.
- مراتب طلب العلم وطرق تحصيله. لـ: الدكتور محمد سعيد بن رسلان.

OBEIKAN.COM

- ذم الجهل. لـ: الدكتور محمد سعيد بن رسلان.
- إيقاظ الهمة لطالب علم الكتاب والسُّنَّة. لـ: عادل السعيدان.
- الطريق إلى العلم. لـ: أبي عبدالرحمن عمرو عبدالمنعم سليم.
- الدُّرْبة على الملكة. لـ: أبي عبدالرحمن عمرو عبدالمنعم سليم.
- منطلقات طالب العلم. لـ: الشيخ محمد حسن يعقوب.
- عوائق الطلب. لـ: عبدالسلام البرجس.
- الدليل إلى المتون العلمية. للشيخ عبدالعزيز بن قاسم.
- الجوهر المكنون في شروح الكتب والمتون. لـ: سيف الطلال الوقيت.
- فتاوى عن الكتب. لـ: عبدالإله بن عثمان الشايع.
- كتب في الساحة الإسلامية. لـ: الشيخ عائض القرني.
- نصوص علماء الأمة على كتب مهمة. لـ: خالد الحيان.
- كتب حذر منها العلماء. لـ: مشهور بن حسن سلمان.
- الطرق الجامعة للقراءة النافعة. لـ: الدكتور محمد بن حسن الشريف.
- ماذا نقرأ ولمن نقرأ. لـ: خالد رمضان حسن.
- نصف العلم لا أدري. لـ: أبي سهل خالد بن رمضان حسن.
- مسرد العلوم الإسلامية. لـ: أبي سهل خالد بن رمضان حسن. يسر الله تعالى طبعه.
- الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام. لـ: الدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدم.
- لحوم العلماء مسمومة. لـ: الدكتور ناصر سليمان العمر.
- ضوابط للدراسات الفقهية. لـ: الشيخ سلمان بن فهد العودة.
- مفاتيح للفقه في الدين. لـ: الشيخ مصطفى بن العدوي.

وغير هذه الكتب كثير.

OBEIKAN.COM